

## مدينة في الذاكرة

قارب العام الدراسي على الانتهاء، كل القلوب متلهفة للإجازة المنتظرة، منهم من خطط لإكمال دراسته في الصيف، ومنهم من خطط لمشاريع صغيرة، وفريقٌ كبيرٌ خطط للسفر مع عائلته، كان الصحفي "محمد" الأمريكي المسلم قد خطط منذ فترة لزيارة مدينة عربية، فلم يكن قد زار سوى مكة والمدينة لأداء الحج والعمرة، تصفّح في الانترنت عن أجمل المدن العربية، وقد شدته مدينة تُدعى "أبوظبي"، فأولاً هي مرتبطة بشخصية ألهمته كثيراً، شخصية نالت الإعجاب والتقدير على الصعيد العربي والعالمي كافةً، الشيخ زايد، وثانياً لأنها عاصمة دولة عظيمة يتحدث عنها المشرق والمغرب، وثالثاً لأن فيها خامس أكبر مسجد في العالم؛ وكدأب محمد الأمريكي فهو لا ينفك عن زيارة المعالم الدينية في كل مدينة يزورها تطلعاً للروحانية والسكينة التي تنتفشاه، ورابعاً للأماكن السياحية الثقافية التي تزخر بها، وخامساً فهي من المدن النادرة التي حافظت على عبق الأصالة وأبقت على طابعها التقليدي مع مواكبتها-في الآن ذاته- التطور في كل مجالاته؛ فليس أجمل وأغنى من مدينة تستطيع التعرف على تراثها وتطورها، الأمر أشبه بأن يُختزل الماضي والحاضر في مكان واحد.

وصل محمد وعائلته مطار أبوظبي بعد رحلة دامت ١٦ ساعة، بلغ الإرهاق بهم مبلغاً عظيماً ولكن الحماس لم يكن ليخفت لحظة واحدة، استقبلتهم ابتسامات وديعة، وقُدّمت لهم القهوة العربية والتمر، حتى إنه شكّ لوهلة أنهم يعرفونه! ولكنه لاحقاً أدرك أن هذه الابتسامات كانت إنسانية بحته يبيّنها أهل المدينة في وجه كل مواطن أو مقيم أو سائح، تبادل أطراف الحديث مع رجال إماراتيين فهو ويا للحظ مترجم يتقن العربية، راقته لباقتهم وطريقتهم في الحديث؛ فكان هذا أول انطباع يحفظه محمد عن أهل أبوظبي، وما أعذب هذا الانطباع الإنساني. بعد نوم طويل مريح في فندق بارك حياة الذي يقع على طول الشاطئ لجزيرة السعديات، استيقظت العائلة على منظر بهيج من النافذة، شواطئ رمالية بيضاء يعلوها قرص الشمس، تماماً كلوحة، وقد اختاروا جزيرة السعديات لما فيها من جمال الطبيعة والتجارب الثقافية الغنية والمعالم المعمارية الاستثنائية والإمكانات التجارية.

انطلقت العائلة الأمريكية باديء كل ذي بدء إلى منارة السعديات التي تمثل الأم الثقافية التي تحتضن المعارض الفنية الثقافية، بدأ رحلتهم بشكل أدق إلى متحف اللوفر، لم يكونوا ليطيعوا صبراً عليه، أعجبتهم الآثار الفنية المجتمعة من جميع أنحاء العالم، وفكّر محمد كم هي ذكية مدينة تحمل مشروعاً يمثل حلقة وصل بين الفن الشرقي والغربي، التقطوا الكثير من الصور التي ولو غادرت ذاكرة الكاميرا فلن تغادر ذاكرة القلب.

بعد هذه الجولة الفنيّة، قررت العائلة القيام بجولة ترفيهية ينهون بها يومهم الأول، فقرروا الذهاب إلى عالم فراري في مدينة ياس، أكبر منطقة ملاهي مغطاة في العالم، استمتعت العائلة بوقتها وضحكوا كثيراً على وجوههم المرتعبة التي التقطت في لعبة "فورمولا روسا" أسرع لعبة للمركبات الأفعوانية في العالم.

وفي اليوم الثاني كانت العائلة قد قررت القيام بجولة تراثية تتعرف فيها على عبق تراث مدينة أبوظبي، فشدوا الرحال إلى قصر الحصن الذي يعتبر أقدم بناء تاريخي في مدينة أبوظبي، أعجبت فكرة هذا البناء الذي يعكس تاريخ وإنجازات المدينة منذ القرن الثامن عشر إلى اليوم، وكأنه ألبوم فخم غني لعائلة كبيرة ملتحمة، قضوا معظم يومهم في قصر الحصن، معرض دائم يمكن دخوله مجاناً يروي حكاية مدينة أبوظبي، لم تكفهم سويّات قليلة لاستيعاب هذا الجمال.

لم يتبق لهم سوى ثلاثة أيام، فإجازة محمد قصيرة جداً كونه العمود الأساسي لعمله، لم يغتم للأمر وقرر استغلال كل لحظة في هذه المدينة الرائعة مع عائلته الصغيرة، ذهبوا في اليوم الثالث إلى صرح زايد وافتتنوا كثيراً بما رأوا، صرّح تكريمي وطني للأب والمؤسس زايد، كان عملاً فنياً مبتكراً ضخماً يُتيح للزوار التعرف أكثر على هذا الرجل الملهم من خلال قصص وصور عنه طيب الله ثراه، سلط الضوء على حياته وإرثه وقيمه عبر قصص شخصية يقصها أناس جمعتهم به معرفة شخصية، رقّ قلب محمد واندثش من هذا الرجل العظيم ولمح دمعاً أخذت طريقها على خد زوجته.

وفي يومهم الرابع، ذهبت العائلة إلى أكثر محطة استطارت ألبابهم، واحة الكرامة، وجهة التعرف على تضحيات أبناء الإمارات في سبيل الوطن، أدهشهم نصب الشهيد الذي يحتوي على 31 لوحاً من الألومنيوم المستندة ببعضها للدلالة على الوحدة والتكاتف، وراقهم نقش قسم الولاء للقوات المسلحة للدولة على العمود الطويل في الجزء الخلفي من النصب، أما أكثر ما سلب فؤاده فهي قصائد وأقوال المغفور له الشيخ زايد رحمه الله المنقوشة على الألواح الأخرى، وأقوال شيوخ دولة الإمارات، استطاع ترجمة الكثير لزوجته وابنته الصغيرة ولاحظ تمدد وجوههن واتساعها من حكمة رجال هذه الدولة، جال ببصره حتى استقر على جناح الشرف الذي أضاف لوحاً إضافياً على ألواح الدولة السبعة إكراماً وتخليداً للشهداء، انبهر من قيمة الفرد الإماراتي وتذكّر مقولة المؤسس زايد "الثروة الحقيقية هي ثروة الرجال وليس المال والنقط، ولا فائدة في المال إذا لم يسخر لخدمة الشعب"، أدرك كثيراً معنى الرجل الحقيقي الذي تستوي أقواله بأفعاله.

وفي اليوم الأخير، اتجهت العائلة إلى مسجد الشيخ زايد صباحاً، هالهم ما رأوا، كان المسجد باختصار صرحاً دينياً فنياً لا يُعلى عليه، حجم المسجد ومساحته، الزخارف الفنية، الآيات

القرآنية، الخطوط المدهشة، الألوان الزاهية، التصاميم النباتية، البحيرات المائية، وكل التفاصيل التي لم تسعها ذاكرة محمد وعائلته، التقطوا ما تسنى لكاميرتهم التقاطه، وصلوا صلاة الظهر جماعةً آمنين مطمئنين.

بعد زيارتهم لمسجد الشيخ زايد شدت العائلة رحالها إلى آخر وجهة، مهرجان الشيخ زايد التراثي، مهرجان يجسد قيم التسامح والمحبة من خلال اجتماع ثقافات العالم، والتنوع الثري للتراث الإماراتي، اطلعت العائلة على تراث دولة الإمارات بشكل غني، وتذوّقوا أشهى المأكولات الإماراتية الشعبية وقد راقهم "الهريس" كثيرًا، استوقفهم مذيع إماراتي للحديث عن تجربتهم في هذا المهرجان وقد وجدها محمد فرصة للتعبير عن إعجابه الضخم وسعادته بزيارة هذه المدينة الطيبة.

وفي طريقهم للعودة فكّر محمد بهذه الرحلة القصيرة الغنيّة، وبالكم الهائل من المتعة والمعرفة التي اكتسبها خلال أيام معدودة، وكيف سيكون الأمر لو أنه أطال الزيارة قليلاً، سأل زوجته لو ترغب بإعادة الزيارة واكتشاف مدينة أبوظبي أكثر فأجابته بالإيجاب وبكثير من الحماس! ابتهج محمد لرغبة زوجته المماثلة وعزم على تكرار الزيارة لاحقاً، حين عاد إلى الديار كتب في صحيفته تقريراً مفصلاً عن أبوظبي كعربون امتنان لهذه المدينة وأهلها الطيبين، وأوصى الكثير من أصدقائه قائلاً "هناك فرصة عمر، وهناك سفرة عمر".